حياته سيناء كبيرة . اما في « البدء كان الصمت » فهو مغنٍ آخر ، حافظ على صوته الاول – صوت القضية وصوت الحزن – لينطلق في لحن اكثر وضوحا واكثر شخصية واكثر ارتباطا بتجارب وتجارب النضال الانساني ، بعيدا عن سطحية الاسماء وسجلات الاحداث .

« الابواب المغلقة »

يوسف غصوب – « والابواب المغلقة » ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤) ، ديوانه الاخير الذي فاز بنصف جائزة الشعر لجمعية اصدقاء الكتاب عن ١٩٦٤ – بقية عطر رعيل من الشعراء ، لعله اليوم اكبرهم واشعرهم واقدرهم . ان « قارورة الطيب »، التي اندلقت بموت او سكوت مدرسة كاملة من الشعراء الذين كانوا كل الشعر في الثلاثينات والاربعينات، في صلاح لبكي و بشارة الخوري و سعيد عقل و امين نخلة وسواهم ، بقي فيها شيء من الطيب اسمه يوسف غصوب . و « الابواب المغلقة » ، الديوان الذي يحمل شذى قارورة العطر هذه ، لعله ايضا آخر دواوين الشعر التي لم تعد تثير جدلا في حركة الشعر اليوم ، اكثر ما تثير اغنية عابرة تطرب ، ليس فيها ما يزعج وما ينفر وما يثير الريبة او الشك. ان شعر يوسف غصوب نوع من العملة المضمونة التي لا تتأثر ، ولم تتأثر ، بتقلبات السوق والاسعار .

وقصائد « الابواب المغلقة » هي من الرمزية الرومنسية ومن السلاسة التي بدأ يفتقدها شعرنا اليوم ، فليس من شعرائنا اليوم من يذود القوافي عنه ذيادا . و « الابواب المغلقة » مجموعة حلوة من القصائد التي تتحدث عن المرأة والشعر والطرب والوحشة ولبنان والهوى . غير ان شعر يوسف غصوب ، على انتمائه لهذه التيارات البعيدة عن نهج الشعر الجديد اليوم ، يبقى حاملا صوتا خاصا به ، ولوحده ، يطرب اكثر ويثير بعمق اوسع ،وشجن اصيل ، اكثر بكثير من قافلة الشعراء التي غرد بينها ، وكان فريدا فيها. ولعل رومانسيته العذبة، هي من الشفافية الاصيلة، ما يجعل قراءة « الابواب المغلقة » رحلة ممتعة في عالم الطرب الشعري الذي قصر عنه اكثر الشعر الجديد اليوم . ويوسف غصوب قد وجد في « الابواب المغلقة » ابوابا مفتوحة في الشعر ما تسنت لغيره . ومن اجل هذا ، لا يسع مغامري الشعر اليوم الا ان يحترموا جودته واصالته .

وهكذا امام هذه الجدران العالية من الشعر ، والفيض المترع من الشعراء ، يصبح البحث عن الجديد والجميل الاصيل نوعا من الابحار الى جزر من المرجان ، تغوص الى الاعماق متى ارادت ، وتطفو على السطح متى دفع بها التيار الى الضوء من جديد . وامام هؤلاء الشعراء ، في عام ١٩٦٥ ، اصبح البحث عمن يطرد فريسيي الكلمة من هيكل الشعر ضربا من العبث .

وطوبى لصانعي الكلمة الجديدة الاصيلة ، اذ بها يخلق الشعر ، وعليها يعيش وينمو ، ومن اجلها يُقرأ ، وفي سبيلها يموت .

رياض نجيب الريس

الحرّية ومشكلتها في البلدان المتخلّفة

بقلم منيف الرزاز . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٥

ما دامت الحرية من المعالم الاساسية لمشكلة البلدان المتخلفة حضاريا ، فان هذا الكتاب يعد من بواكير الفكر السياسي العربي في تحليل هذه القضية تحليلا يتسم بالمبادرة والموضوعية . الا انه بالرغم من استشهاده بالكثير من الوقائع العملية التي حدثت او ما تزال تحدث في بعض الاقطار ، فانه يسلك نهجا نظريا محضا يعتمد على التعميم دون التخصيص ، فلا تصادفنا اية امثلة تطبيقية تؤيد ما يقول او تشرحه او تعارضه ، باستثناء مثال الهند الذي جاء به عرضا وهو يناقش اسباب ازمة الحرية،

وذلك ليقول بان الهند نجت الى حد كبير من هذه الازمة بضمان من قيادتها الحكيمة ايام غـاندي و نهرو . ولكنه تحاشى الحديث تماما عن اكثر المناطق حساسية لقضية الحرية – بالنسبة للمؤلف نفسه – وهي المنطقة العربية التي تحتاج اكثر من غيرها الى تفصيل واستقصاء دقيقين الى ابعد مدى.

ويفتتح الدكتور الرزاز حديثه حول مفهوم الحرية بقوله ان الحرية، ككل مفهوم انساني، مفهوم حي متطور يرتبط بالمجتمع الذي يحيا فيه. فهو ليس شيئا خارجا عن المجتمع ولا منفصلا عنه ، وانما هو علاقة من علاقاته، وكلما تطور المجتمع وتطورت علاقاته تطور مفهوم الحرية فيه وتغير. غير ان الحرية ، كما انها علاقة اجتماعية ، هي كذلك قيمة فردية ، فلا يكفي ان تمثل الحرية علاقة محددة في المجتمع وانما يجب ان يحس بها ويشعر بوجودها ويتلكها ويسعى في سبيل تحقيقها كل فرد من افراد المجتمع. كذلك فالحرية، بالاضافة الى هذا كله ، قيمة ومثل اعلى ، والانسان بالنسبة لجميع القيم التي تملأ حياته وتعطيها معنى في نضال دائب من اجل تحقيقها . « ان معركة الانسان في وجوده هي معركة من اجل تحقيق قيمه ومثله » . فمشكلة الحرية قائمة في انها تبدو وكأنها تناقض نفسها . فالحرية المتاحة للانسان في مجتمع بدائي حرية خفيفة القيود ولكنها حرية ضيقة المجال ايضا . لان امكانيات الاختيار للانسان البدائي امكانيات محدودة ، ومجال حياته وآماله محدود. فلئن كانت الحرية تقاس بمدى القيود المفروضة على الانسان وتصرفه ، فلعـل الانسان البدائي ان يكون اكثر حرية من الانسان المتمدن. ولكن حرية الانسان لا تقاس سلبيا بمقدار القيود المفروضة عليه ، وانما تقاس ، ايجابيـا ، بمقدار الابواب المفتوحة امامه وبسبل الاختيار المهيأة له، وبقدرته على سلوك هذه السبل بارادته واختياره .

ثم ينطلق المؤلف في بنائه للبحث عن الحرية قائلا باننا « مضطرون منذ البداية لازالة هذا الوهم لانه اول ما يخطر على البال حين تطرح كلمة الحرية للبحث والتحديد . فهي اكبر من الوهم القائل بان الحرية هي التخلص من القيود » . ذلك ان القيود التي يعيش في ظلها الانسان لا تعد ولا تحصى ، فهي ليست القوانين والانظمة التي تضعها الدولة فحسب ، وانما هي كذلك عاداتنا وتقاليدنا ودیننا وذوقنا وتربيتنا واخلاقنا وثقافتنا .

فاذا كان الفصل الثاني المعنون «الحرية القومية» ناقش الكاتب الفرق الجوهري الحاسم بيننا وبين الغرب حول مفهوم الحرية . فقد بدأت الحركات القومية الحديثة في اوربا ، وبدأت شعوبها تتطلع للوحدة القومية والاستقلال القومي. ولكن التحرر القومي لم يكن منطلق التقدمية في اوربا، بل كان من نتائجها . لقد بدأت الحركة التقدمية في اوربا على يد البرجوازية الناشئة المتفتحة على اركان العـالم الحديث . وكان الصراع الطبقـي – البرجوازي الاقطـاعي – هو محور التقدم الذي تم في اوربا في القرون الاولى من النهضة. ولم يكن التحرر القومي الا احدى نتائج هذا الصراع وتثبيتا للحركة التقدمية التي لم يكن من مصلحتها بقاء الارتباطات الاقطاعية او الكنسية او الامبراطورية القديمة . ولم تكـن معارك التحرر القومي لتزيد عن حروب بين دول متجاورة لتثبيت حدودها او لتغييرها، او لاضعاف سلطة تقليدية موروثة ، او لتوحيد اجزاء من وطن واحد . كان الصراع الطبقي منطلق التقدم، وكان التحرر القومي نتيجة من نتائجه . اما في الشرق فان وفود الاستعمار الحديث بمجتمعه المتطور ، على المجتمع الشرقي التقليدي الغافي، والصراع الذي ولده هذا الالتقاء الطارىء بين مجتمعين مختلفين اساسيا في كل شأن من شؤون الحياة ، كان هو منطلق التقدم .

وهنا تتلخص نظرية المؤلف : « فاذا كان الصراع الطبقي في اوربا مفتاح كل تطور فيها خلال القرون الاخيرة، فالصراع القومي مع الاستعمار كان مفتاح كل تقدم في بلدان الشرق المتخلف ». وهي نظرية « قومية » تنظر الى تاريخ المجتمع الشرقي او العربي من خلال اطار مرحلي ، هو الاطار القومي ، لا يفسر كافة العناصر المشتركة في صياغة قضية الحرية على نحوها الاقرب الى الصواب – الا اذا كان المؤلف يفترض ثباتية الاطار القومي ، وهذا مـا تؤيده الفصول التالية . ولا شك ان الصراع القومي مع الاستعمار من الفروق الجوهرية الحاسمة بين مسار التاريخ الاوربي والمسار التاريخي لمعظم بلدان الشرق. الا ان هذا الصراع الذي كان عـاملا اساسيا في توجيه حركة التـاريخ ، لا ينفي ان الصراع

الطبقي كان المحور الاجتماعي الرئيسي الذي تتفرع عنه مختلف التناقضات ، بما فيها التناقضات على المستوى القومي . والا فكيف السبيل الى تفسير الحلول الاشتراكية التي تبنتها بعض بلدان الشرق ؟ الم تكن هذه الحلول استيعابا مفصلا لكافة المشكلات القومية والطائفية والقبلية في الكثير من هذه البلدان؟ الم تطرح قضية الحرية نفسها بمزيد من العمق بعد مرحلة الاستقلال القومي لكثير من هذه الاقطار ؟

يجيب المؤلف بتشخيص سريع لاحوال الشرق عند التقائه العنيف بالاستعمار الغربي . فقد كان مستكينا في احضان غفلة طويلة ، ثم واجهته « الصدمة » فواجهها بالتحدي والمقاومة ، ثم اخذت مجتمعات هذه المنطقة من العالم في التحول من المجتمع التقليدي المتجمد الى المجتمع النضالي الديناميكي . الى ان ولدت المرحلة الحديثة من النضال القومي ، تلك المرحلة التي تميزت بالدعوة القومية المرتبطة ارتباطا وثيقا بدعوة الحرية ودعوة الاشتراكية ، « والتي اصبحت الصفة الغالبة الآن على كل الحركات الشعبية التقدمية في كل اقطار آسيا وافريقيا » . وايضا « من اجل ذلك كان للحرية القومية في الشرق المتخلف قيمة لم تكن لحركات الحرية القومية في اوربا . ومن اجل ذلك كانت الحرية القومية في الشرق جماع كل الحريات الاخرى ومنطلقها » .

هذه هي النتائج الاولى لنظرية المؤلف في الحرية ومشكلتها في البلدان المتخلفة ، وهي نتائج ضبابية بعيدة عن تلمس الواقع عن قرب ، هائمة في عالم المعادلات الذهنية الحبيبة الى المنطق الشكلي. فنحن لا ندري ما اذا كانت نتائج هذه النظرية مستقاة من واقع الصين ام اليابان ام اليمن، وهل ثمة وشائج ايديولوجية او واقعية تربط بين هذه كلها ، ام ان كلمة « الشرق » في ذهن المؤلف لم تتحدد الا في نطاق الشرق العربي . فالمؤلف يعترف بالتعميم كمعاد للبحث النظري والتطبيقي معا. فقد اشار قبل ذلك الى انه في المنطقة الممتدة من اندونيسيا في اقصى الشرق الى فيتنام الى بورما فباكستان فسيلان، الى معظم الاقطار العربية ، ثم الى غانا وغينيا وانتوغو والداهومي ، امتدت الانقلابات واحدا بعد الآخر بصورة او باخرى لتطيح بالنظام البرلماني ، ولتطيح بالحريات السياسية العامة ، ولتقيم محلها انظمة عسكرية مكشوفة او انظمة مدنية تخفي جهازا عسكريا حاكما ، وتستمد سلطاتها في الواقع من القوى المسلحة التي تعتمد عليها . فاذا اضفنا الى هذه المجموعة مجموعة الدول التي لم يطأ ارضها الاستعمار او تلك التي مر عليها مرورا خفيفا ، كالحبشة وايران وسيام ، واضفنا مجموعة الدول التي جنحت نحو الدكتاتورية خوفا من الانقلابات والثورات ، كانت الحصيلة ازمة عامة في الحرية تصيب كل اقطار آسيا وافريقيا تقريبا .

وينتهي المؤلف من هذا العرض لنظريته في الحرية الى شيء قريب مما تقوله الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في اوربا، مع الاعتراف بان هذه الاحزاب قد وقعت فريسة في يدي اليمين الاوربي والاستعمار منذ زمن بعيد . فهو ينادي بالتوجيه الاقتصادي والتخطيط الاجتماعي والحياد السياسي ، وذلك بان تنشأ وتتدعم مؤسسات سياسية تستمد سلطانها المباشر من القوى الشعبية المنظمة ، الرقيبة على خطوات الدولة الاشتراكية. هذا هو الحل الوحيد، اذاً ، للتناقض الذي يراه المؤلف قائما بين الحرية والاشتراكية: ان تصبح كلاهما وجهين لعملة واحدة هي الديمقراطية الموجهة .

صفاء رسمي

الفن المعاصر في مصر

تحرير حامد سعيد. وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٦٤

قدم لنا هذا الديوان التشكيلي عن الفن المعاصر في مصر الفنان الشاعر حامد سعيد من لوحات اختارها من مجموعة مقتنيات الدولة واعمال المتفرغين. وهي تمثل الذوق الرسمي ، اذ لم تضم هذه المجموعة